

معرض بيروت العربي الدولي للكتاب 59... ما له وما عليه!



أحمد طي

«خير جليس في الأنام كتاب»، «الكتاب نافذة نتطلع من خلالها إلى العالم»، «قبل لارسطو: كيف تحكم على إنسان؟ فأجاب: أسأله كم كتاباً يقرأ وماذا يقرأ؟»، «الكتب ثروة العالم المخزونة وأفضل إرث للأجيال والأمم»، «خير لك أن تزخر مكتبك بالكتب من أن تمتلك محفظتك بالنقود... ماثورات كثيرة قُلت وكتبت في الكتاب والقراءة والمطالعة. ويبقى الكتاب أساس كل بيت، إذ إن البيت من دون كتاب، كالجسد من دون روح.

أما القراءة، فهي بوابة المعرفة، ونافذة الحياة والثقافة الواسعة الواعية بشؤون هذه الدنيا وشجونها، هي البنيان الذي لا ينضب عطاءً وعلماً وفكراً ولساناً وفناً.

القراءة مدرسة الحياة وجامعة مفتوحة الأبواب للجديد، هي الرقي وثمرة الحضارة والتحضر الذي ينقل الإنسان من محيط صغير وضيق، إلى المحيط الأكبر والأشمل. هي الهدوء والسكينة والحب والسلام للنفس، إضافة إلى أنها فرصة لنقل أفكار وإنتاج العقول النيرة والمضيئة في حياة الشعوب التي سارت على طريق العلم والتطوير والإنتاج والعمل. القراءة عنوان عظيم للدخول إلى بوابات الفهم والوعي والإدراك بأهمية الحياة، وأهمية العقل والفكر والتفكير في شؤون هذه الدنيا.

الشعوب التي تقدّمت وبنيت حضارتها وقوتها، كانت القراءة إضافة إلى الفكر والثقافة والحريّة الفكرية مفتاحها نحو التقدّم والرقي، لا بل إن كل من فهم الحياة وارتقى بوعيه وفكره، جاءت معرفته عبر القراءة الواعية في مجالات العلوم والمعارف الداعمة لحريّة الفكر والعقل.

من هنا، تعتبر أنّ المواظبة على تنظيم معرض بيروت العربي الدولي للكتاب على مدى أقل من ستة عقود بسنة واحدة، إنجاز ينال عليه «النادي الثقافي العربي» علامة كاملة، ويستحق التحية في زمن يفرق لبنان في مستنقع عميق القعر من الأزمات المالية والسياسية والاجتماعية والمعيشية والأمنية. والحق يقال، إن من ينظر إلى لبنان هذا الذي يعيش من دون رئيس للجمهورية، وحكومته شبه مشلولة، وقواته العسكرية والأمنية مشغولة في صدّ الإرهاب، والديون عليه تتزايد باضطراد، والمواطنون فيه انقسموا تلقائياً إلى طبقتين: فقيرة فقيرة وغنية غنية... من يشاهد لبنان هذا وسط هذه المعمة، حتماً سيصاب بالذهول كيف أنه ينظم معرضاً دولياً للكتاب، يستقطب مئات الناشرين من عشرات الدول، ويوزعه يومياً آلاف الزوّار، وينجح على رغم كل من احترق النقد لأجل النقد فقط.

في هذا التقرير، نحاول -وبكل تواضع- أن نسلط الضوء على أبرز ما ميّز معرض بيروت للكتاب بنسخته التاسعة والخمسين عن نسخته السابقة وعن غيره من المعارض العربية، كما سنذكر بعض ما شابه من سقطات، عل القيمين على المعرض يتفادونها مستقبلاً... فلا ضير إن وصلنا إلى صفر أخطاء ومشاكل.

لا شك في أن مجرد تنظيم المعرض في ظل كل ما يشهده لبنان ومحيطه من خضات أمنية، يعدّ إنجازاً بحد ذاته. وهنا، نرى أنه يتوجب علينا كإعلاميين سلّجوا على مدى 14 يوماً ما شاهدوه من حركة فاعلة لأعضاء «النادي الثقافي العربي» وموظفيه والمتطوعين فيه، إلا أن نوجه لهم تحية كبيرة عربون تقدير يستحقونه.

فلقد كان هؤلاء خلية نحل فاعلة متفاعلة، بدءاً من اليوم الأول، وبيدوا من رئيس النادي سميح الباي، مروراً بمدير المعرض فادي تميم والنشاط دائماً الدكتور عدنان حمود، وصولاً إلى الموظفين الذين كانوا يبترون دائماً لمساعدة الزوّار، وتقديم المعونة للناشرين.

جمل ما شدّ انتباهي، اهتمام الدكتور عدنان حمود الدائم بالأطفال وتلامذة المدارس، إذ إنّه كان يتخلّى عن كل مظاهر البيروقراطية: احتساء القهوة من عدد من المتطاهرين بالثقافة... وما إلى ذلك، فتجدّه منتظراً الطلاب عند مدخل المعرض، عملاً على تسهيل دخولهم، ومساعدتهم في إرشادهم إلى أي جناح يريدون التوجه، كما أنه كان حريصاً جداً على تسجيل اسم المدرسة وعدد الطلاب لإنجاز إحصاء ما لاحقاً.

كم كان نواراً ووجهه عندما كنا نقصد بطلب قاعة لاننا سنستقبل عدداً كبيراً من الطلاب. كان يجيبنا مقاطعاً: «أطفال، تلامذة مدارس، خذوا ما تريدون، القاعة لكم»، لا بل إنّه كان يستدعي أحد الموظفين كي يساعداً.

المكتب الإعلامي

كما أن حركة المكتب الإعلامي، المؤلف من فريق

معرض الكتاب

كلّ سنة، تعيش بيروت موسمًا ذهيباً للفكر والثقافة والشعر، ويتحوّل معرض الكتاب إلى عرس سنويّ تسترجع فيه المدينة العريقة شيئاً يشبهها، بعيداً عن تقاليد تناهت السلطان. فيوقع العشرات إصداراتهم الجديدة، وتبرز مواهب واعدة، ويكتب مخضرمون سيراً وأبحاثاً تختزن أعماراً لهم أو لأوطان أو لأحداث. ومع السمين غث واستعراض مدفوع، يحضر الناس ويتدافعون. ومع الحضور كثير من نفاق الاجتماعيات وأكذوبة المثقفين الذين يشترتون كتباً لا يقرأونها، ويحصدون صوراً تذكارية لا يشبهونها. لكنه يبقى الحدث الاحتفالي الأهم الذي يليق بعاصمة الكتاب والحرف.

وقد نجحت «البناء» هذا الموسم بالتميّز في منح المعرض تغطية وحضوراً لاثنين بإمكانيات متواضعة، متمثلة بحضور الزميل أحمد طي المشرف المنشق للصفحة الثقافية وحركته، وهو المشارك النشط في المعرض ككاتب وناشر، ومع الزميلة النشيطة الواعدة لمي نؤام التي قامت بتغطية أنشطة المعرض وما رافقه من أحداث ثقافية، وواكبته بحوارات ومقابلات.

«البناء» تفخر بما قدّمت، وتشد على أيدي الزميلين لصحافة جادة تجدّ نحوها «البناء» في زمن تناهت السلطين.

ناصر قنديل

زاروا المعرض رغماً عنهم، ولم يباليوا بكتاب ولا بنشاط. بينما السواد الأعظم من الأطفال أبهرنا. أطفال هنا ينهمون كالمنظر على جناح دار نشر مخصصة للأطفال، يعبّون بالكتب كيفما حلوا لهم ليختاروا ما رست عليه أنواقهم. بينما يتناهى طفل أنه اشترى أكثر من كتاب، ويفتخر آخر بأنه انتقى الكتاب الأفضل. وكما كانت فرحتنا كبيرة عندما سمعنا بعض الأطفال يتهايمون: «هذا الكتاب قرأته السنة الماضية... إنه رائع!».

متكامل، يجوب أرجاء المعرض باستمرار، مطلعاً على أنشطة دور النشر وحفلات توقيع الكتب، وموثقاً بالكلمة والصورة الفعاليات المرافقة من ندوات وأسمات شعرية وموسيقية، ولقاءات للطلاب مع الحكواتيين ومؤلفي القصص. كل ذلك، يبدتاً لأن نحتي هذا الفريق على تلك الجهود.

الفعاليات

لا شك في أنّ معرض بيروت للكتاب هذه السنة، شهد عدداً كبيراً من الندوات التحقيقية، سياسية وفكرية وأدبية، كما شهد محاضرات لمناقشة عدد من الكتب البارزة. وقياساً بالسنوات الماضية، لاحظنا ازدياد عدد هذه الفعاليات، إذ لم يمر يوم إلا ونظمت فيه أكثر من ثلاث ندوات على الأقل.

الأطفال

كما ذكرنا في تقرير سابق، أنّ الأطفال كانوا هذه السنة أيقونة المعرض، سواء من حيث حضورهم الكثيف، أو من حيث الكتب الموجهة إليهم، والنشاطات التي حضروها. وإذ نترك للنادي الثقافي العربي الحديث عن إحصاء شبه دقيق لعدد الأطفال من تلامذة المدارس الذين زاروا المعرض هذه السنة، فإننا نجزم أن العدد كان كبيراً... كبيراً جداً.

وإذا انبرى أحدهم وقال إن النجاح لا يقاس بالكَمّ إنما بالنوع أو عدد الأطفال الذين استفادوا من تنظيم المعرض، فنقول: إن ما شاهدته العين هذه السنة كان سامياً إلى أبعد الحدود. فقد واجهنا قلة قليلة من الأطفال المتذمّرين الذين

نقاط ضعف لا بدّ من تجاوزها

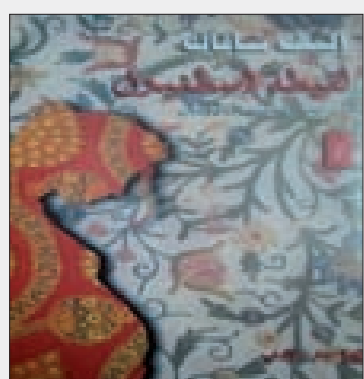
وسط هذا النجاح الباهر الذي شهده المعرض هذه السنة، كانت لنا ملاحظات عدّة، حول عدد من نقاط الضعف التي لا بدّ من تجاوزها مستقبلاً. كي تبقى بيروت عاصمة الكتاب الأبدية.

من هذه الملاحظات، الإصرار على قبول «شركات» تسترّ خلف اسم «دار نشر»، بينما هي تباع الألعاب... الألعاب فقط. نحن لسنا ضدّ الألعاب، ولا ضدّ دورها في تعليم الطفل، لكن مجرد وجودها في معرض للكتاب، يصرّف أنظار الأطفال عن الكتاب. وكما هي الجهود جبارة لجعل الطفل متعلّقاً بالكتاب. فمادام سيحصل إذا وضعت ألعاباً أمامه.

لسنا هنا مع قطع الأزواق، وللسنا ضدّ سياسة الريح. فكل دار نشر تهدف إلى الريح، لكن هذا الهدف ترافقه أهداف أخرى تتعلق بسياسة الدار التربوية والأدبية. وكما هي الجهود جبارة لجعل الطفل ويا ليت الأمر توقّف على الألعاب فقط، إذ إن «شركات تجارية»، عمدت إلى بيع البالونات! نعم البالونات، ولعاب أخرى لا تمت إلى التربية

كلمة أخيرة

يبقى أن نقول، إنّنا في «البناء»، وفي صفحة «ثقافة وفنون» تحديداً، نشد على أيدي القيمين على النادي الثقافي العربي، وعلى أصحاب دور النشر، والمؤلفين والشعراء والباحثين، وكل من تربطه علاقة عشق بالكتاب. وتعلن أن «البناء» منبر مفتوح لأي نقاش فكري أدبي، علنا نرتقي بالوطن إلى المراتب التي يستحقها. وكلّ معرض كتاب وأنتم بخير!



في ما يلي، نستعرض عدداً من الكتب التي أطلعت «البناء» لماماً على مضمونها في معرض بيروت العربي الدولي للكتاب، وودت أن تقتنيها في مكتبتها، وستكتب عنها دراسات ونقاشات مطوّلة لاحقاً. كما تستقبل «البناء» أي مبادرة للكتابة عن واحد من هذه الكتب، أو كتب أخرى، وذلك عبر البريد الإلكتروني: ahmdtay999@hotmail.com

